قال صديقه : ما هم الآخرون في نظرك ؟

قال دال : الآخرون عندي حقيقيون وليسوا ميتافيزيقيين .

ـ مثلا ؟

ـ الذين يحصون عليك أنفاسك من الصباح الى المساء الى الليل وهكذا دواليك .

ـ تستطيع أن تتحدى .

ـ فعلا ، اننا نتحدى بظهورنا في الشوارع .

قال صديقه : بسلاما عليك .

ـ الله يعاون .

الصورة الثالثة

من الجانب الآخر ، تقف المدينة عدوا كبيرا . وبالنسبة لدال لم تتح له هذه المدينة أن يحقق توازنا معها ليقفز عبر عوالم أخرى أكثر طمأنينة . كانت المدينة هي هي : بشوارعها وازقتها وواجهاتها ومحلاتها التجارية الكثيرة ، مدينة مستقرة وقانعة بنفسها ، فهي تستيقظ في الصباح الباكر وتنتظر آخر الشهر لتقبض راتبها الشهري المتواضع . لم يحدث أن عرفت هذه المدينة زلزالا عنيفا يغير من مجرى حياتها الطبيعية ومن قناعاتها بأن « كل شيء على ما يرام » . كانت المدينة مسحوقة حتى الجذر ، وكل الانتفاضات التي نبعت من جذورها كانت مجهضة ، وهكذا تتزعزع المدينة لبضعة أيام ثم تعود الى حالتها الطبيعية . ان المدينة الآن تنتظر .

استمر دال في « رؤية » المدينة من السور الكبير فرآها هادئة (لكنها تفور من الداخل) . كان يسمع هدير السيارات فيقول أن لا شيء تغير . التفت حوله فرأى فتاة وفتى يتعاشقان ويضحكان ملء شدقيهما . حوّل نظره نحو الجانب الآخر : بحر صامت وأزرق وبضع رجال مرميين على شاطئه . هل يرمي نفسه من السور ؟ ليس حلا . فكّر ان الصراع أمر حتمي وان البورجوازية المتوسطة والكبيرة يهمها أن ننقرض نحن من هذا العالم لتبقى هي متربعة على عرش الامتيازات .

عاد دال يجترّ أيامه من الصباح الى المساء . تلفن لصديقته وضرب لها موعدا في السادسة مساء في « الدوتشي فيتا » ، ثم ذهب الى البار ليدفن أحزانه الكبيرة والصغيرة والمتوسطة .

كانت المدينة تستيقظ في الصباح ، وكانت الشمس توزع نفسها عبر أرجائها ، ولكي يحقق توازنا ذاتيا ، لكي يتخلص من أوهامه ، قرر أن يقرأ السياسة .

في تلك اللحظة كانت المدينة تستيقظ ، في حين كان دال يغيب .

الدار البيضاء — **ادريس الخوري**

قصة قصيرة

العقم

بقلم إبراهيم زيد

استدارة القمر نهديك ، وبريق النجم عيناك ، نجمك انا الذي هوى ، فلتشهدي يا ضفة انني تفسخت ذرات سرمدية . أطيافا بلا لون .. أنجذب .. أتقاذف .. أكون أو لا أكون .. أن .... أو .... ، وخارج طاقتي تكمن المشكلة ، احملها صخرة ؟ ريشة ؟ اثما ؟ لعنة ؟ مشكلتي انني أعشقك ، لكن ...

ـ وما معنى الـ (لكن) هذه ؟

ـ أن ترحلي معي .

* * *

هجرت الى مرافىء النور ، لم نخلق للزراعة يا معشوقتي ، فما كنا أبدا من سلالة الفراعنة، التيه افي دروب العشق يشفع لي / لا تحملي هما / ان أكون عارضا لصناعة بلدي التقليدية ، أو حمالا ، أو ... أو ... أواه يا معشوقتي ، يحدثني النهر ثانية عن حشرجة التيار ، عن انحسار الموجة بين جزر وجزر ، وما المدّ الا اصطلاح علمي . حدثني أيها الجغرافي عن انحسار الموجة كالدمعة في مقلة العاشق . أحدثك عن أبي والمعول ، كانت يداه خشنتين مشققتين ، يبصق فيهما مبسملا قبل مسك المقبض ، يرفع المعول ، يضرب الارض بقوة ليشقّ مسالك تنفذ منها مياه النهر .. يهوي ثم يهوي مفتتا الصخر .. وحين اتطلع الى عمله البطولي باعجاب ، كان يقول : « الارض عزباء يا ولدي كالصبية ، اقتحمها بقوة ، اغتصبها ، ففي بطنها ألف كنز » . حقا . الارض كالصبية وذلك سر بقائنا ، لكن مشكلتي ـ أنا ـ خارج ارادتي ، فما كنت قط من أصل

فرعوني ، سأبحر يا معبودتي لارى الشرق غربا، وبينهما فضاء عينيك ، فلنرحل يا معشوقتي ..

ـ لكن ..

ـ وما معنى لفظتك (لكن) هذه ؟

ـ لا زلت في عصمة رجل كما تعلم .

ـ طلاقك بات مؤكدا بعد انتشار اشاعة عقمك . فالعقم في عرف العشيرة لعنة .

* * *

العقم لعنة بالتأكيد . لست بالمجدلية يا من تقول ان الارض عزباء كالصبيـــة .. أولم يحدثك النهر عن معشوقته الارض ؟ عن انحسار الموج ليلة اكتمال البدر ؟ عن المدّ الـــذي هو مصطلح جغرافي ؟ الارض عزباء يا فتاي ، وكان أبوك يضرب بقـوة ليشقّ المسالك .. الارض ومعشوقها ، النهر ومعشوقته ، والرغبة رغبتان، يسري النهر في جسدها كاللذة ساعة الوصال ، تتشنج عروقها . عضلاتها . ترتجف . تتأوه . جدائل شعرها ذويت . يسري النهر اكثر ، يجـوب كل دواخلها ، ينزّ عرقها حموضة ، يلعق النهر حموضتها ، ويتفتت مـــا تبقى من صخر .. يقول لها : آه يا معشوقتي .. وتقول له : معشوقي . هل من مزية ؟ وكي لا توصف بالعار . اللعنة . العقم .. ينتصب أبوك كالمارد يبسمل ، يضرب بقوة ، يزيح الطحالب .. فهي دوما عزباء فـي بطنهـا الف كنز ..

ـ يا الهي !

ويضرب أبوك .. يضرب .. تخور قواه . يمتـد الوهن اليه . يمتص . لم يعد يقوى على حمل المعول . يدور به باحثا عنك . أعياه البحث والمسالك انسدت.. يحدث النهر عنك والطحالب تزداد تراكما .. يقول لـه انك عائد لا محالة . والموج ينحسر .. اللعنة هم أيتهـا الارض ، ولست أنا بالمجدليـــة ، اللعنة عقمكم أيهـا الرجـال ..

ـ يا الهي ! هل أنت ..؟

ـ خذ معولك وجرّب .

* * *

أجرّب ؟ أحمل معولي ؟ آدم وحواء ، والشيطان ثالثهما .. أشتـــاق اليك أيتها الفرس الجـامحة .. ارتجف كلما تصورتني ذلك الفارس الـــذي هو أبي ، الماهر في الركوب ، تفتيت الصخر ، اغتصاب الارض ، شقّ القنوات .. عودي يا مواسم الفرحة والفرجة .. ينتصب الفارس فوق سرج من الصقلي المذهب .. من عرف الفرس تتدلى جدائل حريرية حمراء مفتـولة . تتأرجح كلما هزّت رأسها بعنف . وكان الفارس يدرك جيدا لحظة اطلاق العنان .. تثير السنابك غبارا يحجب الرؤية لبعض الوقت .. تنسلّ رجلاه من الركاب .. واقف هو فوق السرج والفرس تخبط بشدة .. يقذف بندقيته في الهواء ، يتلقفها ، تتكرر العمليـة والفرس ما تزال تخبط .. وعند خط الوصول يتشتت البارود، ويصطبغ الافق بلون رمادي داكن .. لهـــاث الفرس وارتعاشتي .. زغاريد النسوة وتعثري .. قرع الطبول وانتكاسي .. صورة والدي وفشلي .. آه يا معشوقتي هل فشلت حقا ؟

(وكانت ما تزال متمددة عارية) .

ـ أحقا فشلت يا معشوقتي ؟

ـ يا لعقمكم أيها الرجال !

* * *

عريهـــا وعقمي .. وكالهمس كـــان خطوي .. الاستدارة والبريق ، والنجم الـــذي هوى ، وحديث النهر . أتركها خلفي الى حيث مرافىء النور الهزيمة . افشلت حقا كما فشل هو (زوجها) ؟ هم ؟ نحن ؟ لم نعد نضرب كالاولين بعنف . بل ندغدغ .. زمن السـلم هذا . ونحن جيل مسالم .. زمن (البلودجينز) وبريق الماسكرا ، واستدارة النهـــود تحت قمصان متنقلة للاشهار .. فلتشهدي يا ضفـــة العري اني مهزوم ، راحل الى مرافىء النور الهزيمة الاستنزاف .

* * *

وكالهمس كان خطوي قد ابتعد ..
وكالصاعقة كانت تركض خلفي ملتفة بملاءة ..
وكالصفعة واجهت ـ هي ـ الرجال المجتمعين ..
ـ عقمكم وعذريتي ..
وتجردت من الملاءة :
ـ خزيكم وعريي ..
(لا أحد يجيب) .
ـ لست بمريم المجدلية ..

وتمددت على ظهرها موسعة ما بين فخذيها :
ـ هيا جربوا فحولتكم أيها ... الخصيان .

وكارتداد المـــوج ترتدّ الـــرؤوس . وكانسداد المسالك تنسدّ العيون بالقذى . وكحديث النهر عـــن معشوقته ، تحـــدثت العزباء عن عقمنـــا ... نحن الرجال ..

المغرب

ابراهيم زيد